في روايتها نصف شمس صفراء
النيجيرية جيماماندا أديشي بين الولاء والخداع

روب نيكسون
ترجمة: نجام الجبيلي

هل نحن جاهزون لرواية عن أمة منهارة تمزقها النزاعات الدينية والخصومات الدموية التي تهيمن على المرافق العسكرية والمدنية والنفط؛ رواية عن السلب والنهب والعبوات الناسفة على جانب الطريق والقتل والانتقام المشتغلة خلف ستارة القوى الأجنبية المتطفلة؟ رواية فيها شعوب عديدة مستعمرة سابقاً تغضب بسبب الحدود القومية التافهة التي تجمعهم معاً وفيها مواطنون متروكون على قارعة الطرقات المخيفة ويجب عليهم الاختيار بين الفيدرالية المتفجرة والتقسيم المضطرب.

إن رواية "نصف شمس صفراء" لـ" جيماماندا نغوزي أديشي" (مواليد ١٩٧٧ –نيجيريا) تقع أحداثها في غابات جنوب شرق نيجيريا قبل ٤٠ سنة مضت.

إذا كانت نيجيريا عند استقلالها عام ١٩٦٠ " مجموعة من الأجزاء في حالة تشابك هش" فإنه في عام ١٩٦٧ تفكك هذا التشابك فاندلعت الحرب البيافرية التي استمرت ثلاث سنوات وأظهرت القوات التي يسيطر عليها المسلمون من الشمال تفرض الحصار على أيبو المسيحية من الشمال والتي حاولت الانفصال عن نيجيريا بعد المذبحة الكبيرة بحق سكانها.

في السياق التاريخي الغريب والمخيف فإن رواية " نصف شمس صفراء" تجل ذاكرة حرب منسية كثيراً خارج نيجيريا، عدا كونها مرادفة للمجاعة، وعلى الرغم من أنها تستعمل التاريخ لإضفاء الفعالية على الحاضر فإن " أديشي" هي حكواتية وليست صليبية.

تركز الرواية على أختين توأمين، (أولانا) و(كاينينا)، وهما عضوان في نخبة "إيبو" متباينتان في المزاج والبدن و تكافحان من أجل الولاء المشترك المتبادل الذي يتعارض مع الارتياب والخداع. تنجذب التوأمان أيضاً نحو رجال مختلفين جداً: تصبح "أولانا" خليلة " اوديجنبو" وهو مثقف ذو نزعات خيرة،يؤيد الاتحاد الأفريقي، ويدرّس في جامعة أقليمية بينما تقع " كاينينا" في حب "ريتشارد" وهو رجل إنكليزي خجل أخرق لكنه ذو مبادئ يتولى قضية بيافرا. إشاعات الحرب والنزاع بأكمله حينئذ تلقي بعالم الشخصيات الأربع الثري في الفوضى وبتواز مع العالم المختلف جداً لـ " أجوو" وهو عامل التنظيف لدى " اوديجنبو" " الذي ينحدر من قرية ريفية فقيرة. أحياناً تكون كتابة " أيديشي" مباشرة جداً وخطى الرواية بطيئة جداً.

لكن ما أن تشتغل على ثيمتيها المفضلتين –الولاء والخداع –حتى يصبح نثرها مفعما بالحيوية، ومثلها مثل نادين غورديمير فهي ترغب في وضع شخصياتها على مفترق الطرق حيث الولاءات الشخصية والعامة مهددة بالصدام. إن كلاً من رواية إيديشي " شمس نصف صفراء" وروايتها الأولى " الخبيزة القرمزية" (التي فازت بجائزة كتاب الكومنولث) تتحريان الهوة بين الأداء العام للأبطال الذكور وتهربهم من المسؤوليات الشخصية وكلتا الروايتين تفحصان النساء بعمق - الزوجات و البنات اللاتي تركن معلقات في تلك الهوة.

متى يتدفق الولاء من الحب ومتى يتدفق من المحنة المشتركة أو الميراث؟ إن رواية " نصف شمس صفراء" تتحرى هذه الأسئلة من خلال علاقة التوأمين القلقة ومثل شعوب "نيجيريا" ما بعد الكولونيالية فإن حياتيهما مرتبطتان بصورة لا إرادية إنهما مع أمتهما عليهما أن تختارا ما بين الوحدة العنيدة والانفصال الكارثي.

إن حرب بيافرا ألقت بظلها الكثيف على الخيال الأدبي في نيجيريا وحركت تقريباً كل الكتاب النيجيريين البارزين من "تشنوا آشبي" و "وول سوينكا" إلى "كرستوفر أوكيبو" و"فلورا نوابا" و "يوجي أميشيتاوا" و" كن سارو وايوا". إن " أديشي" التي ولدت قبل الحرب تنتمي إلى جيل جديد من الكتاب الشباب النيجيريين الموهوبين : هيلين هابيلا، أوزوندیما آيويلا، هيلين أوييمي وكريس أباني (التي تعد روايته " أرض الشرف" من أفضل الروايات الميتروبوليتانية لعصرنا وهي تدور عن ممثل لشخصية "الفس" في قطاع المدينة الرث".

إن "أديشي" لم تعايش الحرب الأهلية التي شكلت خيالها بصورة عميقة. و بعض من أفراد عائلتها من "الأيبو" نجوا من حرب "بيافرا".

حتى شخصياتها الأشد احتراماً لديها عيوب إنسانية. تفهم أيديشي أن الروايات، وبالاخص كل روايات الحرب، لا يمكن بسهولة أن تنجو من الاندفاع نحو الحكم. لهذا فهي تأخذنا في داخل عقل فتاة بار تغتصبها عصابة وجندي مراهق. وبعد أن نفهم عميقاً نجد " كتلة صلبة من الخوف" داخله في "القسوة الكارثة لهذا العالم الجديد" وهي القسوة التي يصبح فيها معقداً بصورة متعلقة بالنمو. تتحدث رواية "نصف شمس صفراء" من خلال التاريخ عن عصرنا المجهد بالحرب ليس من خلال القياس التجريدي بل من خلال طاقة التفاصيل المتحركة والمخيفة أحياناً- لاجئ يفرّ إلى الشمال بالقطار حاملاً في وعاء فيه رأس ابنته بجدائلها الرقيقة. أطفال جوعى في معسكرات اللاجئين يجدون أنفسهم غير قادرين على الإمساك بالسحلية. صبي جندي يلقب بـ" محطم الهدف" يستعمل كلمات مثل نار العدو و " اهجم على المقرات الرئيسة" ببرود غير مبال إذ يقول بصرخة ملفقة :" بطن الفتاة بدأ بالانتفاخ وتتساءل أمها:" هل هي حامل أم تعاني من سوء التغذية؟".

تأخذنا رواية " نصف شمس صفراء" في داخل الحياة العادية لأناس دمرها الانحلال كما دمر الأمة. حين يدخل أحد معارف "أولانا" إلى إحدى مخيمات اللاجئين يلاحظ بأنه " كان أضعف وأكثر هزالاً مما كان يتذكره وبدا وكأنه ينشطر إلى نصفين لو جلس على نحو مفاجئ". إنه قياس لمهارة "أيديشي" على وصف الاشياء الصغيرة والفوضى التي يعيشها العالم إذ نرى ذلك الانسان وهو ينتقل من بلد إلى آخر مراراً وتكراراً.

في قاعة ملتقى المستقبل الثقافي الأبداعي

الكرد الفيليون ..بين الماضي والحاضر

جلال حسن

في اطار برامجها التنويرية الهادفة ، أقامت منظمة (أين حقي..؟) ندوة ضمن برنامج حقوق الاقليات ، تضمنت محاضرة القاها احمد ناصر الفيلي ، رئيس تحرير صحيفة (حمرين) ، تحت عنوان الكورد الفيليون ..بين الماضي والحاضر على قاعة ملتقى المستقبل الثقافي الابداعي ، الذي افتتحته المنظمة المذكورة آنفا ، في منطقة الباب المعظم ببغداد ، قبل عدة أشهر ، وقد أشار القائمون على الملتقى الى ان هذا البرنامج (حقوق الأقليات) سيتطرق الى الأقليات الأخرى في ندوات لاحقة.

حقوق الأقليات

بدأت الندوة بكلمة الأستاذ عامر هرمزعفان/مسؤول اللجنة الادارية في منظمة (أين حقي..؟) والذي رحب بالحضور وبالضيف المحاضر، واعرب عن رغبة المنظمة في توضيح بعض المفاهيم المتعلقة بحقوق الانسان، والتي تثير في كثير من الأحيان المتاعب، بسبب الجهل بها أو الخلط بينها وبين الممارسة الديقراطية، اذ لايزال قسم كبير من المثقفين والسياسيين، يخلطون بين حق الأغلبية البرلمانية في ممارسة السلطة، وحقوق الأقليات في تأسيس الدولة العصرية القائمة على أساس المواطنة، والتساوي في الحقوق والواجبات بين المواطنين كافة.وقال عفان :

في أجواء الحرية والديمقراطية، نستطيع أن نلقي الأضواء على تطلعات أبناء الشعب العراقي كافة، نستطيع أن نستمع الى مخاوفهم، وأن نتلمس هواجسهم، حتى نبني سويا مجتمعا عراقيا يقظا فاعلا قادرا على المطالبة بحقوقه بصورة حضارية مدنية،

استعراض تاريخي

وبدأ الأستاذ احمد ناصر الفيلي محاضرته بالتعريف بالكورد الفيلية والآراء المتعلقة بأصل هذه التسمية، وقد اشتكى المحاضر من ندرة المراجع المتعلقة بهذا الموضوع وقال: الحقيقة أن قلة المدونات واحدة من أكبر المشكلات التي تواجه الباحث في هذا المجال.و ألقى نظرة تاريخية حول الأصول الأولى للأمة الكوردية، واعتبرأن الأقوام والقبائل الزاكروسية هم الأصول الأولى للأمة الكوردية، وتعد الأقوام اللولوية والكاشية والعيلامية، الجزء الأساسي والمهم من تلك القبائل التي قطنت المناطق الممتدة من الكميت وبدرة وحتى خانقين وكلار وصولا الى حلبجة وبنجوين جنوبا، وحتى أقاصي مناطق كرمنشاه وايلام ولورستان وبختياري وخوزستان في ايران.

واضاف : قسمت مناطق الكورد الفيليون بين الدولة العراقية والدولة الايرانية، بموجب بروتوكول تخطيط الحدود العراقية-الايرانية، فانقسمت القبائل، بعد تطبيق ذلك التخطيط، تبعا لمناطق سكناها، وقاست الأمرين، نتيجة الصراع الطويل بين الدولتين الحديثتين، فضلا عن الصراع القديم بين العثمانيين والفرس!

ثم انتقل المحاضر بعد ذلك لاستعراض معاناة الأكراد الفيليين جراء السياسات التعسفية لكلا الدولتين، فبينما يحرم الكردي الفيلي في العراق من حق المواطنة المتساوية، على خلفية اتهامه بالولاء لأصوله الأيرانية، يحرم الكردي الفيلي في ايران من حق المواطنة، على خلفية اعتباره من أصول عراقية أو عربية، وتلك مفارقة أدت الى تهجيرهم واضطهادهم أيام النظام السابق، كما مازالت تؤدي الى حرمانهم، من جديد، من حقوقهم في الجنسية، وحقوقهم في استرجاع ما صودر من أموالهم وممتلكاتهم في تلك الحقبة المظلمة!

وأسهب المحاضر في الحديث عن دور الكورد الفيليين في الحركة الوطنية العراقية، وبصورة خاصة دورهم في تأسيس الحزب الشيوعي العراقي والأتحاد الوطني الكوردستاني، كما تطرق الى دورهم الكبير في النشاط الاقتصادي والتجاري، وختم محاضرته بجملة من الآراء والحلول المعروضة للنقاش، كان اهمها(وضع صمام أمان دستوري من أجل عدم تكرار المآسي)، والغاء قانون الجنسية الذي يميز بين الجنسية العثمانية والجنسية الايرانية قبل صدور ونشر قانون الجنسية العراقي، حيث لافرق بين التبعيتين(الاسلاميتين)، بالنسبة الى الأكراد الفيلية في الأقل!

مداخلات واستفسارات

بدأت المداخلات بكلمة الأمين العام لمنظمة (أين حقي..؟)الكاتب احمد محمد احمد، الذي وجه سؤالا الى المحاضر والحضورقائلا:(لو روعي مبدأ المواطنة في التأسيس الجديد للدولة العراقية، ولو اعتمد على المبادئ الانسانية في قانون الجنسية، هل سنكون بحاجة الى طرح هذه القضية وأمثالها؟).ثم أجاب: لكل فعل متطرف ردة فعل معاكسة متطرفة، فالأتراك العثمانيون، عندما حاولوا تتريك العرب، خلقوا ردة الفعل القومية العربية، والقوميون العرب عندما تطرفوا، خلقوا ردات فعل قومية أخرى، في العراق والجزائر وغيرهما..القضية قضية تساوي المواطنين في الحقوق والواجبات، دون أي اعتبار للأصول العرقية، أو الفوارق الدينية والمذهبية.

وأشار مصعب بسيم الذويب، نائب الأمين العام للمنظمة، في مداخلته الى أن المشكلة كما وضحها المحاضر مشكلة قانونية محضة، ويمكن حلها بكل بساطة، لو اعتمد قانون الجنسية على المبادئ الانسانية،

الذويب أوضح أن مبادئ منظمة (أين حقي..؟)، وما يتعلق منها بالحقوق الاقتصادية المتساوية للمواطنين كافة، كفيلة بالقضاء على كل المظالم..ولو طبقت برامج منظمتنا كما نتمنى، لأثرت بشكل فاعل في قوة الرابطة الوطنية بين المواطنين، وجعلتهم في موقع القدرة على تقبل الآخر والاستجابة لمطالبه العادلة..

أثنى المعقبون على جهود المحاضر، وأشاروا الى غرابة المعلومات التاريخية والسكانية التي استمعوا اليها لأول مرة، وقد تركزت تعقيباتهم على الأستفسار عن بعض المعلومات ذات الصلة، واستفسر عبد الستار الأعظمي، عن الأسماء والأعلام، من الكورد الفيليين، في المجال الأدبي والثقافي، حيث ركز الباحث على رجالات النشاط السياسي والاقتصادي دون سواه. بينما تساءل عقيل الربيعي عن المعتقدات الدينية للأكراد الفيلية، فأجاب الباحث بأن أغلبيتهم من المسلمين.

أما عبد الله نجم عبود والمسرحي محمد السيد وأحمد البياتي والتربوي فاضل طلال القريشي، فقد اسهموا بمداخلاتهم، في اثراء الجلسة، وشكر المحاضرعلى ماقدمه من معلومات، وعلى كتابه القيم الذي وزع قبل بدء الجلسة والذي يحمل عنوان المحاضرة التي ألقاها (الكورد الفيليون ..بين الماضي والحاضر)وهو من مطبوعات مؤسسة (شفق)للثقافة والاعلام.

د.علي الربيعي يوثق تاريخ المسرح الحلي

محمد هادي
بابل

صدر هذا الاسبوع عن دار الصادق في الحلة كتاب تاريخ المسرح في الحلة دراسة توثيقية للدكتور علي محمد هادي الربيعي والكتاب يقع في مجلدين كبيرين وبحدود سبعمائة صفحة ويحتوي على سرد تاريخي وتتبعي للعروض المسرحية التي قدمت في الحلة بدءاً من عشرينيات القرن العشرين وحتى نهاية عام ٢٠٠٦ والمؤلف من مواليد الحلة عام ١٩٦٧ بكالوريوس فنون مسرحية كلية الفنون الجميلة بابل عام ١٩٩٠ وبكالوريوس تأريخ كلية التربية عام ١٩٩٩ وماجستير فنون مسرحية كلية الفنون بابل عام ٢٠٠١ ودكتوراه فنون مسرحية كلية الفنون الجميلة بابل ٢٠٠٤ حاليا مدرس مادة تاريخ المسرح وأدبه. في نفس الكلية نلتقي د. علي الربيعي ليتحدث لنا عن هذا الكتاب

❖*كيف بدأت فكرة هذا المؤلف ؟*

ان الكتاب بحلته هذه يمثل جهد خمسة اعوام من العمل الدائب حاولت ان انفض خلالها الغبار عن الآلاف من الصحف والمجلات والوثائق وقد سعيت وبحثت وفتشت ولم استطع ان اقف عند المنجز المسرحي الحلي بأجمعه وربما فاتني الكثير ومع ذلك فقد توافر لي متسع من الوقت نقبت فيه ارشيف المؤسسة العامة للسينما والمسرح في بغداد الا انني لم احصل منه الا على النزر اليسيركذلك اطلعت على ارشيف نقابة الفنانين فرع بابل وعلى الرغم من فقره فقد أفدت من بعض المعلومات التي كانت فيه.

❖*ماذا يضم الكتاب ؟*

يضم الكتاب حوالي (الفين) من الأسماء المسرحية بعضهم يتردد اسمه كثيراً تبعاً لنشاطه وبعضهم الآخر يرد اسمه مرة واحدة كما احتوى الكتاب على أسماء الرواد من المسرحيين الحليين إضافة الى عدد كبير من الوثائق والمصورات التي تخص المسرح الحلي كما يحتوي الكتاب على ببلوغرافيا كاملة بالأسماء الواردة فيه اما المقابلات الشخصية التي شكلت المادة الميدانية المباشرة للبحث فقد كانت غنية اذ قابلت العديد من الفنانين المسرحيين والتشكيليين والباحثين الحليين متخذاً من الاستفسار والسؤال سبيلاً للحصول على ما ابتغيه وقسم الجزء الأول من الكتاب الى خمسة فصول الأول قراءة روايات تأسيس المسرح الحلي فيما ضم الثاني الإنتاج المسرحي في تربية بابل وخصص الثالث والرابع للمسرح الريفي ومسرح الشرطة واحتوى الفصل الأخير على الإنتاج المسرحي في فرقة مسرح بابل وفرقة بابل للتمثيل.اما المجلد الثاني فخصصت فصوله الأربعة للإنتاج المسرحي في كلية الفنون ثم مديرية الشباب فنقابة الفنانين فالإنتاج المسرحي في الفرق المسرحية المتفرقة ثم المصادر وفهرس الأعلام مع عشرات الصور ومثلها من الفولدرات والوثائق والكتب التي كانت تصدر في ذلك الوقت.

❖*الصعوبات التي واجهتك ؟*

حين أقدمت على الكتابة عن تاريخ المسرح في مدينة الحلة لم احسب عاقبة هذا الإقدام حينها كما لم أع حجم المسؤولية الملقاة على عاتقي في هذا البحث المتشعب غير انني ما ان بدأت أتعايش مع هذه المهمة لحظة بلحظة وبدأ الأمل يأخذ طريقه الي فجمعت كل ما يخص المسرح الحلي وبدأت الصعاب تتذلل امام صبري مساعدة الآخرين اما أهم المصاعب فكانت ندرة المصادر والمراجع التي تمد الباحث بالمعلومات عن تاريخ المسرح في الحلة فكل ما هو نفيس وثمين من وثائق ومصادر قد أهمل وترك للزمن يأخذ حيفه منه ثم ان اغلب الفنانين المسرحيين الحليين لم يوثقوا أعمالهم المسرحية بل تركوا للتاريخ الشفاهي مهمة توثيق أعمالهم المسرحية إضافة إلى مزاجية بعض المسرحيين ونرجسيتهم وعدم اكتراثهم بالموضوع أو في التزامهم بتقديم البيانات الخاصة بهم صعب الأمر علي وفوت عليهم في الوقت نفسه الفرصة بتدوين أعمالهم أو الظهور بمظهر الفنان الملتزم المحب لمدينته.

❖*من قدم لك يد العون ؟*

كثيرون هم الذين زودوني بالمصادر والمراجع والمعلومات التي تخص البحث بعضهم توفي أثناء كتابة البحث أمثال الأستاذ رشيد محمد علي والأستاذ عبود مهدي الشلاه والأستاذ زكي راجي والفنان سعودي جابر رحمهم الله جميعاً والبعض الآخر حي يرزق أمد الله في أعمارهم اذكر منهم الاساتذه محمود شكر أبو خمره وعبد الأمير رشيد ود.كامل القيم والمحامي جاسم الصقر وعامر تاج الدين ود.صباح المرزوك وحسام الشلاه وسعد الحداد أقدم لهم ولكل من ورد اسمه في الكتاب شكري وعرفاني.

❖*هل ستتواصل في هذا الجهد ؟*

نعم فقد انتهيت هذه الأيام من كتابي الذي سأدفعه إلى الطبع ويحمل عنوان "تاريخ الفكر الدرامي" ويقع في ثلاثة مجلدات كبيرة وهو سياحة فكرية في تاريخ التأليف المسرحي منذ الإغريق وحتى اليوم في ضوء الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية كذلك سأشرع هذه الأيام في كتابي الجديد "المسرح المحلي والتأليف المسرحي".

كتاب

على شاطئ شيزيل

ترجمة: فاروق السعد

المؤلف: ايان مكوان

ايان مكوان يعود الى نموذجه السابق. فبعد " السبت" ، و هي روايته السابقة الممتعة و المفرطة الأمان، فان هذا السيد البارع في الرواية قد الف كتابا مكدرا و الذي هو بحسب حجمه- و ليس بمداه العاطفي- يمثل تذكرة بكتابه رجل الجوائز"أمستردام". كان الوقت يوليو من عام ١٩٦٢, كان ادوارد و فلورنس ، و كلاهما يبلغان ٢٢ عاماً، متعلمين ولكنهما ساذجان، قد تزوجا لمدة ثماني ساعات فقط بعد خطوبة خالية تقريبا من البروتوكولات. وفي شهر العسل بشقتهما المطلة على شاطئ شيزيل على ساحل دورسيت تقدم لهما وجبة العشاء الرسمية الحاوية على لحم البقر المشوي منذ مدة في حساء ثخين، خضراوات مسلوقة باعتدال و النبيذ الابيض:" لم يخطر ببال ادوارد ان يطلب النبيذ الأحمر." لم يكن أي منهما يمتلك اية شهية. كان هنالك نوع من الشعور المتكلف في هواء ذلك المساء المعتدل، تقريبا غريبان، كانا يبدوان، " غريبين سوية، على ناصية الوجود الجديدة". إنهما يعتقدان بان زواجهما سيجلب لهما السعادة و الحرية لتحقيق الخطط" التي تراكمت أمامهما في المستقبل الغامض". و مع ذلك، بالرغم من هذا الوعد المبهج لا يتمكن أي منهما من طمس القلق الشامل حول اللحظة التي يجب عليهما، بعد العشاء، ان يكشف كل منهما عن نفسه تماما لأحدهما الآخر" على السرير الضيق ذي الاربعة قوائم بأغطيته البيضاء الناصعة. فبالنسبة الى ادوارد، الذي يعاني من أعصاب الليلة الاولى، ستمثل هذه الليلة حلا لطموح يراوده منذ ما يزيد على العام. و لكن بالنسبة الى فلورنس فيغمرها " خوف باطني"، اشمئزاز بائس محسوس وكأنه دوار بحر". فهنا امراة تعلم بان الجنس لن يكون ابدا "تتويجا لبهجتها" و لكنه الثمن الذي يجب ان تدفعه للحب- و هو الشعور الذي تعتبره " حساء مسلياً... بطانية شتوية سميكة من العطف و الثقة". ان نثر السيد مكوان هو، كالعادة، مكثف و يتسم بالوصف البصري، و لكن في هذه الرواية الأنيقة الصياغة تكمن مهارته في تصويره توتراً مسائياً مشفوعاً بشلل عاطفي و في وصفه فرصة ضائعة. و بتحرك الاحداث الى الامام في الجزء الأخير من الكتاب، " على شاطئ شيزيل" فإنها تصبح اكثر من مجرد قصة بسيطة عن عواطف مكبوحة بسبب التقاليد. و هي بيان تذكاري عن الكيفية التي يمكن ان تحدث فيها الجراح الرهيبة و تغير مجرى الحياة برمته- عند عدم القيام بأي شيء.

عن الايكونومست